

مَجْلَدُ عَصْفَرِ الْجَارِي

هداية ربي عند فقد المرء

للحافظ العلامة علي بن حسام الدين الشهير

بالمثقى صاحب كنز العمال

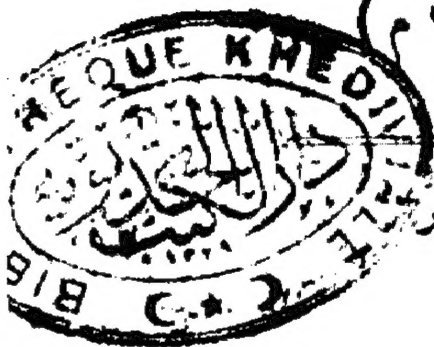
﴿ الطبعة الأولى ﴾

— بمباشرة من عبدالله السرباي، —

﴿ طبع على نفقة ﴾

شركة الانبساط

(بمكة المشرفة سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م)



المطبعة الجمالية محارة الروم — بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر
الانبياء وآلهم وصحبهم أجمعين . « أما بعد » فيقول احقر عباد الله
على بن حسام الدين الشهير بالمتقى هذه رسالة سميتها :

﴿ هداية ربي عند فقد المربي ﴾

كالشرح للرسالة المسماة — سلوك الطريق اذا فقد الرفيق — قال
سيدي احمد زروق رحمه الله ناقلًا عن شيخه ابي العباس الحضرمي
رضي الله عنه : « ان نفعت التربية بالاصطلاح ولم يبق الا الافادة
بالهمة والحال ، فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان ،
جاذٍ في معاملة الحق والنفس والخلق . فاما معاملة الحق فثلاث :
اقامة الفرائض ، واجتناب المحرمات ، والاستسلام لاحكام . واما
معاملة النفس فثلاث : الانصاف في الحق ، وترك الانتصاف لها ،
والحذر من غواياها في الجلب والدفع والرد والقبول والاقبال والادبار .
واما معاملة الخلق فثلاث : توصيل حقوقهم لهم ، والتعفف عما في

أيديهم ، والفرار عما يغير قلوبهم الا في حق واجب لا محيد عنه انتهى
كلام الشيخ رضى الله عنه في غاية الاختصار . »

قلت الخصال التي اذا لم يجد الطالب مرشدا يريه تنوب مناب
المرشد في الجملة ان شاء الله تعالى هي : المجاهدة والتقوى والعلم مع
العمل والزهد وكذا العقل الاكتسابي في الجملة . فهذه الخصال وان
كان بعضها مع بعض متحدا اصطلاحا فجملة ما تصلح لتحصيل المقصود
ان شاء الله تعالى . ورد في القرآن المجيد : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبيلنا - واتقوا الله ويعلمكم الله - يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل
لكم فرقا » . وفي السنة : العلم حياة الاسلام وعماد الدين ومن علم
علما اتم الله أجره ومن تعلم فعمل علمه الله ما لم يعلم ، اخرجه ابو الشيخ
عن ابن عباس . وأيضا : من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه
بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى ، اخرجه احمد عن علي
وأیضا : هل منكم أحد يريد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى
بغير هداية ، هل أحد منكم يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله
بصيرا ، ألا من رغب في الدنيا وطال فيها أمله اعى الله تعالى قلبه على
قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها اعطاه الله تعالى علما بغير
تعلم وهدى بغير هداية الحديث . وأيضا : اذا رأيتم الرجل قد اعطي

زهدي في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة ، اخرجته
احمد والبيهقي عن أبي هريرة . وأيضا : ما اكتسب المرء مثل عقل
يهدي صاحبه الى هدى أو يردده عن ردى ، اخرجته البيهقي عن عمر
واعظم خصلة أى وسيلة لحصول المقصود الموت الاختيارى
واليه يشير : موتوا قبل أن تموتوا ، وعد نفسك من أصحاب القبور ،
ودع نفسك وتعال . ونحن نتكلم في فوائد هذه الخصلة إن شاء الله تعالى
(فمن فوائدها) : انها اصل الاعمال وخلاصتها ولذلك يصح
ان يصفها هذه الصفة التى هى المعجون التام لانواع الاستقام اعلم
ان الاغلب عند الاطباء ان لكل داء دواء منفرد لكن اذا كان
الطبيب حاذقا كاملا فى صنعته صنع معجوننا لأمراض كثيرة متنوعة
فالموت الاختيارى معجون لانواع الاخلاق المذمومة - وذكر
فى كتب القوم لكل ذميمة علاج على حدة مثلا علاج الكبر التواضع
وعلاج البخل السخاء وعلاج الحرص القناعة الى غير ذلك فالموت
الاختيارى علاج لجميع الذمائم لأن الميت لا تنشأ منه ذميمة ولا مألوف
(ومن فوائدها) : انها افضل الاعمال ومخففة الاثقال أما
أفضليتهما فلأن غيرها من الاعمال له جزء معلوم وثواب محدود
بخلاف هذه الخصلة فان من بذل روحه لله تعالى فديته مولاه كما

ورد حكاية عن الله تعالى: ومن قتلته فاما دينه ، ومن له المولى فله الكل
واما تخفيفها الاثقال فلأن الشخص متى عزم على التحقق بهذه
الخصلة فبمجرد هذا العزم يزول عنه ان شاء الله تعالى هم الرزق
والاهل والعيال وكل هم له في الدنيا ولهذا المعنى حسن في تسميتها
خير العمل مراقبة الاجل ، أو العمل المختار ترك الاختيار

(ومن فوائدها) : انها شبيهت بالا كسير فيقال فيها اكسير
الارادة لكيمياء السعادة - اعلم ان الموت الاختياري من جملة
الارادة وشبه بالا كسير لان خاصية الا كسير اذا طرح على فلذة
نحاس صارت ذهباً فزادت قيمة ورتبة عما كانت فصاحب الموت
الاختياري اذا عمل عملاً لا شك أن عمله يكون خالصاً لله منزهاً عن
العيوب والرياء فقيمة هذا العمل بالنسبة الى عمل المرأى والمعجب
زائدة بمراتب بل عمل المرأى مردود غير مقبول يستحق العقوبة عليه
وللتشبيه وجه آخر وهو ان صاحب الكيمياء الدنيوية اذا قصد
أمراً بلغه حتى لو أراد سلطنت العالم بلغها فكذا صاحب موت
الاختياري يصل الى مراده فيما أراد

(ومن فوائدها) : انها قليلة المؤنة كثيرة المعونة فان الموت
الاختياري من جملة الارادة والخواطر ولا مشقة في ذلك بخلاف

سائر الاعمال من الصلاة والصوم والتلاوة والذكر ففيها آداب الجوارح - وكونه اكثر معونة فما ذكر في أفضل الاعمال فانظره هناك ويعبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى وهى : جلب النفع الخطير ببذل الشئ الحقيقى جالب . وتوضيح هذا المعنى ان يعلم ان جسد الآدمى من شأنه ان ينتن بعد الموت فاذا بذل الشخص ذاته لله تعالى مع ان الله تعالى قال « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة » فكانه بذل اليسير الذى لا قيمة له وهو جسده المذكور فى مقابلة الكثير وهو ملك الابد وحياته وفى هذا المعنى امن من حيفة الابد من ترك حيفة الجسد ، أو يقال ترك الخسيس لجلب النفيس ، أو يقال الحياة الهنيئة فى اماتة النفس الدنيئة ، أو يقال السعادة كل السعادة قتل النفس بالارادة . اعلم ان قتل النفس على نوعين احدهما بالسيف ونحوه وثانيهما بالامانة الاختيارية فقتلها بالاول وان كان من جملة السعادة جهاد اصغر اما قتلها بالثانى جهاداً كبير فحسن ان يقال فيه : قتل النفس بسيف الطاعة ساعة فساعة ، أو يقال قتل النفس بالاعلام والايهام لا بالسيف والسهم ، أو يقال نعم الشجاعة وانتهور قتل النفس بسهم التصور . وهو على أنواع تصور يومك انه آخر ايامك وعبادتك كصلاتك انها آخر قرباتك وثيابك انها كفنك وسريرك

انه تابوتك ويبتك انه قبرك وسائر حالاتك بحيث توافق حالات الموتى فمن داوم على نحو هذه التصورات يرجى له الموت الاختياري انشاء الله تعالى . أويقال فيها نيل الجنان والأرزاق من غير دم يراق . اعلم ان ملوك الدنيا اذا أرادوا أن يملكوا بلداً أو قرية ربما يهرقوا دماء لا تحصى بخلاف ملك الا بدفنه ينال بلا اهراق دم بل بمجرد عزيم وخاطر استقر في الشخص

(ومن فوايدها) : ان من حصلها تجمع له الدنيا والآخرة بالجملة ان شاء الله تعالى . وفي هذا المعنى يقال تنظيف الباطن لمن هو في منزلة الدنيا قاطن . اعلم ان الواقع في منزلة منتنة اذا أراد الخلاص من ضررتنها فله حيلتان الأولى أن يخرج عنها ويغسل ثيابه وبدنه ثم يطيب والثانية وهي أشد وأثعب وهو أن يقيم في تلك المذبلة ويعالج بما يزيل تنجسها بالريح الطيب وهو الموت الاختياري فمن تحقق به من أهل الدنيا وان كان أميراً أو وزيراً لا تضره الدنيا في الجملة ان شاء الله تعالى وقد حكى عن بعض الخلفاء أنه نصب شخصاً يقوم كل يوم عند مواجهته كفن في يده وينادي رافعا صوته : يا أمير المؤمنين الموت حق . وفي هذا المعنى يقال : ارشاد الملوك في السير والسلوك أو يقال الحبل المتين لاصطياد الدنيا والدين ، أو يقال المتجر الهني للفقير

والغنى ، أو يقال جمع ضرتين لمن ولد مرتين . اعلم ان في عرف الناس جمع ضرتين مشكل فمن اختار الموت الاختيارى بأن انسلخ عن أوصاف البشرية وتخلق بأخلاق الملائكة فكأنه ولد مرتين كما قيل ان يابج ملك السموات من لم يولد مرتين فمن تحقق بالموت الاختيارى يرجى له الجمع بين الضرتين الدنيا والآخرة في الجملة انشاء الله تعالى (ومن فوائد) هذه الخصلة : انها طريق معقول يسلك بالقلب لا بالقدم . فيقال فيها سلوك بلا قدم تخيل الوجود كالعدم ، أو يقال مسلك الايمان واليقين طريق ليس فيها حرج ولا طين ، أو يقال طريق المرجع والمعاد لا يحتاج الى الراحة والزاد ، أو يقال طريق الجائع والعريان بلا قوافل وركبان ، أو يقال طريق المفردين في الخلوات لا المكثرين في القلوات ، أو يقال طريق الفنى والمحو لا طريق العقل والصحو ، أو يقال طريق الخمول والفناء لا طريق الشهوة والثناء ، أو يقال جنس نباؤه عجيب يوصل الحبيب الى الحبيب ، أو يقال بناء يهدم اللذات يرفع القدر والدرجات ، أو يقال مطلب مقصود بالعرض لكن موصل الى الغرض . اعلم ان من القواعد المعلومة ان الاشياء الوجودية تحصل بالآلات وجودية مثلاً السرير لا بد في تحصيله من الآلات كالقدوم ونحو ذلك فتحصيل شئ وجودى بشئ عديمى

عجيب فالموت أمر عديم عجيب وفي هذا المعنى يقال من أعجب الصفات في الكمي كسب الوجودى بالعدمى - الكمي - هو الشجاع فالشجاع لما بذل روحه في الجهاد الاصغر نال حياة الابد فمن بذل روحه في الجهاد الاكبر الذى هو قتل ساعة فساعة فحقيق أن ينال حياة الابد

(ومن فوائدها) : انها عمل مستمر لا تتخلله فترة ولو كان صاحبه نائما بخلاف سائر الاعمال فانها لا تخلو من فترة ، ولهذا المعنى يحسن أن يقال فيه : ورد النائم للسير الدائم ، أو يقال عمل بلا توائى اختيار التولد الثانى ، أو يقال حيلة الصريع للسير السريع

(ومن فوائدها) : انها عمل خفى يقترب بها بالاخلاص والقبول فيقال في هذا المعنى : عبادة كافلة بالاخلاص ضامنة للخلاص ، أو يقال عمل من الشرك برى فيالقبول حرى ، أو يقال ذكر قلب بلا لسان جالب الجنان بالجنان

﴿ فصل فى فضائل متفرقة للموت الاختيارى ﴾

من أعظم الكرامات المشي بعد الممات ، فضيلة تحصيلها كالفرض ميت يمشى على وجهه الارض ، قتل نسمة ليس فيها اثم بذل الروح

قبل فناء الجسم ، تخلص نفس الاسير بالفداء اجابة دعوى الموت
 قبل النداء ، ظفر بالعدو وغلب من رجع الى الله قبل الطلب ، قتل
 يودى بحياة الابد بذل الروح قبل فناء الجسد ، نيل الفتوح ببذل
 الروح ، جلب الخير ودفع الشر بالخروج عن صفات البشر ، المقام
 المحمود في ترك الوجود

﴿فصل في عبارة تختص في صفة الخريطة التي ذكرت في رسالة سلوك الطريق﴾

يعني انها بمنزلة مذكر نزول الغفلة بسببها . رتيمة الانسان لازالة
 النسيان ، غيمة عميمة لدفع كل ذميمة ، ترغيب العوام للحضور والدوام ،
 خدعة بالاشر للفتح والظفر ، تدارك الفوت قبل الموت ، الحيلة والتدبير
 قبل حلول التقدير ، تذكّر السعيد للسفر البعيد ، منادى الرجل الى قصد
 السبيل ، مؤذن الصلاة على الميت فمأحسن منادى صيت ، نعم الواعظ
 والزاجر لكل فاسق فاجر ، نعم الطيب والدليل لكل مريض غليل ، نعم
 الصاحب والرفيق اذا لم يوجد الصديق الشفيق ، الحبل العياري للموت
 الاختياري . اعلم ان العيار يقال لسارق النهار ففي بعض البلاد بعض
 قطاع الطريق يصحبون في السفر شخصا فاذا وصلوا الى برية يرمون
 الحبل في عنقه ويخنقونه بهذا الحبل ويأخذون مامعه فما أشبه هذه

الخريطة لهذا الحبل لأمانة النفس . جلاب الخير لترغيب الغير . يعنى
 من لازم هذه الخريطة في عنقه جهارا فلاشك أن يسأله عن كيفيتها
 فاذا كان السائل طالبا صادقا لزم على المسؤول أن يوقفه على رسالتين
 اللتين كتبناهما في فوائد هذه الخريطة فر بما يرغب السائل في تحصيل
 هذا الأمر وينتفع به فيكون المسؤول أيضا شريكا في نفعه ثم يقول
 الفقير الى الله على بن حسام الدين من تحقق بهذه الغصلة يرجى له
 من الله تعالى أن يهديه بغير مرشد ان شاء الله تعالى فبهذا المعنى يقال
 فيها هداية ربى عند فقد المربي اما وجود المرشد فكبريت أحمر
 يحصل من نظره وصحبته في ساعة واحدة مالا يحصل في مدة طويلة
 والله أعلم

تمت الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أبدا ورضى الله عن
 أصحاب رسول الله أجمعين



